جامـــعة واســـط
مجلـــــــة كليـــــــة التربيـــــة

العدد الثاني والأربعون
الجزء الثاني/شباط/2021

السياسة الخارجية الايرانية بين الاستمرارية والتغيير: تحليل الحالة السورية

م.د. نسرين فالح حسن
جامعة واسط / كلية الإدارة والاقتصاد
ph.d.nis@gmail.com

الملخص

بعد الثورة الإسلامية التي حصلت عام 1979، اتبعت إيران سياسة خارجية انعزالية بخطاب معاد للإمبريالية، ولكن مع بدأ الحرب العراقية الإيرانية ، حولت إيران سياستها ألخارجية الانعزالية إلى سياسة متعددة الأطراف، ونتيجة التغييرات الحاصلة في ميزان القوى التي أعقبت هجمات الحادي عشر من سبتمبر ، أعادت إيران إطلاق سياسة خارجية ذات توجه إيديولوجي. ورغم أن الخطاب المتضارب في ألسياسة ألخارجية الإيرانية أخذ في الانخفاض خلال عهد الرئيس روحاني ، إلا إن ألسياسة ألخارجية الموجهة نحو الإيديولوجية والهوية لازالت مستمرة، لذلك تشكلت ألسياسة ألخارجية لإيران تجاه سوريا وفقاً لمحددات مثل الأمن القومي الإيراني ، تشكيل الهلال الشيعي، الجغرافيا السياسية، وميزان القوى الإقليمي.

الكلمات المفتاحية: إيران ، السياسة الخارجية لإيران ، سوريا ، الهلال الشيعي ، حزب الله.

العدد الثاني والأربعون
الجزء الثاني/شباط/2021

جامعة واسط
مجلة كلية التربية

The Iranian Foreign Policy: Between Continuities and Change: An Analysis of the Syrian Case

Nisreen Falih Hassan
College of Administration and Economics
ph.d.nis@gmail.com

Summary

After the Islamic Revolution of 1979, Iran pursued an isolationist foreign policy with an anti-imperialist rhetoric. However, with the start of the Iran-Iraq War , Iran turned its isolationist foreign policy into a multilateral policy, and as a result of the changes in the balance of power that followed the attacks. 9/11, Iran relaunched an ideological-oriented foreign policy. Although the conflicting rhetoric in Iranian foreign policy began to decline during the era of President Rouhani, but the foreign policy directed towards ideology and identity is still continuing. Therefore, Iran's foreign policy towards Syria was formed according to determinants such as Iranian national security. The formation of the Shiite crescent, geopolitics, and the regional balance of power.

Keywords: Iran, Iran's foreign policy, Syria, the Shiite Crescent, Hezbollah.

المقدمة

تعد مبادئ الثورة الإسلامية هي المحدد الأهم لرسم ألسياسة ألخارجية في إيران، ومع ذلك، فإن خلال 40 سنة تقريبا، أعطت العوامل الداخلية وألخارجية والتغيرات في الهياكل الاجتماعية الأولوية لبعض العوامل، وكما يجادل البنيويون، فإن العالم مبني على أساس اجتماعي، مما يؤكد أهمية العوامل المادية والفكرية في غدارة سياسات الدول، ومن جانب آخر، لابد من الاخذ بنظر الاعتبار أثناء تحليل سياسة إيران ألخارجية الدور النهائي والمهم للزعيم الأعلى، المرشد آية الله خامنئي، ودور الرئيس في عملية صنع القرار في ألسياسة ألخارجية لإيران.

إن المرشد الأعلى، هو الرئيس الفعلي للدولة والقائد الأعلى للقوات المسلحة للبلاد، وهو السلطة المطلقة على قضايا الأمن القومي والسياسة الخارجية، فيما يتعلق بعملية صنع القرار في السياسة لخارجية، ففي الوقت الذي يعد المجلس الأعلى للأمن القومي بمثابة الهيئة المهمة في تشكيل السياسة ألخارجية، ويرأسه الرئيس الذي يعين امين للمجلس، إلا أنه يتعين على المرشد الأعلى المصادقة

والموافقة على قرارات المجلس حتى يدخل حيز التنفيذ، إن الازدواجية في سياسة إيران ألخارجية لا تنتج بسبب دور المرشد الأعلى والرئيس، بل بسبب أيضاً إشراك الجهات الفاعلة الأخرى، ولا سيما فيلق الحرس الثوري في عملية صنع القرار وتنفيذ ألسياسة ألخارجية ، وهذا يؤدي إلى تعقيد فهم العلاقة بين السبب والنتيجة وتأثيرها بين الجهة الفاعلة ونتائج السياسة الخارجية .

مع الأخذ في الاعتبار الجهود المبذولة لمواصلة المبادئ الثورية والدور النهائي للزعيم الأعلى، سيحلل هذا البحث سياسة إيران ألخارجية تجاه سوريا من أجل فهم تأثير الهيكل الاجتماعي للسياسة الدولية على السياسات ألخارجية لإيران، لذلك، سيقوم الجزء الأول بتحليل موجز للتغييرات في توجه ألسياسة ألخارجية لإيران من الانعزالية إلى التعددية بين عامي 1979 و 2005. سيبحث الجزء الثاني بنقطة تحول أخرى، والتي تمثل عودة السياسة الخارجية الموجهة نحو الهوية والأيديولوجية والتي تؤكد على الخطاب حول المصالح المتضاربة. وسيناقش الجزء الأخير سياسة إيران الخارجية بشأن الأزمة السورية، وتحديداً فيما يتعلق بالديناميات التالية ؛ الأمن القومي والهلال الشيعي والجغرافيا السياسية وتوازن القوى والسلطة الإقليمية(الهيمنة)

المبحث الاول :من العزلة إلى التعددية

اكتسبت المظاهرات ضد نظام الشاه زخماً كبيراً نتيجة الاستياء بين مختلف شرائح المجتمع الإيراني، بما في ذلك رجال الدين والعمال والطلاب وتجار الطبقة الوسطى والتكنوقراط، على سياسات الشاه خلال السبعينيات، ونتيجة لذلك، اضطر الشاه إلى مغادرة البلاد في منتصف يناير 1979، وبعد أسبوعين، عاد آية الله الخميني إلى إيران، وفي 1 أبريل تم إعلان تأسيس الجمهورية الاسلامية رسميًا.

أدت ثورة عام 1979 بالتأكيد إلى دخول السياسة الإيرانية مرحلة جديدة، في هذا الصدد، فإن هناك سؤال يطرح نفسه، هو إذ كانت هذه المرحلة الجديدة تعني تمزق من الماضي وقد تم الرد عليها بشكل مختلف. فبالرغم من أن صانعي القرار الثوريين يجادلون عادة بأن الجمهورية الإسلامية تشكل استراحة من عهد الشاه، لكن لا يوجد إجماع بين العلماء على هذا التقييم. فبينما يقول هانتر، على سبيل المثال ، أن سياسة ايران ألخارجية لم تشكل استراحة من الماضي بسبب الاستمرارية في الساحات الجيوسياسية والتاريخية والاقتصادية، نجد الصدري يقول بأن الفرق بين النظام الإمبراطوري والنظام الجمهوري الإسلامي قبل الثورة وبعدها يعد اختلاف جوهري. أحد الاختلافات الرئيسية كان تغيير وجهات نظر صناع القرار الإيرانيين حول نظرهم للعالم الغربي. فخلال فترة الشاه، حافظت

إيران على علاقات وثيقة في طيف أيديولوجي واسع ، بما في ذلك مع العالم الغربي، أي الولايات المتحدة الامريكية [1]. وعلى النقيض من سياسة الشاه ألخارجية، أعلنت الثورة الإسلامية مبدأ لا الغرب ولا الشرق ، والذي يشير إلى كل من النضال السياسي والإيديولوجي ضد القوى العظمى من أجل منع الإسلام من احتواء جميع الأفكار الأجنبية. وبالتالي، الشكوك تجاه نوايا القوى العظمى كانت أحد أسباب مبدأ عدم الانحياز وعدم المشاركة في نزاعات القوى العظمى في سياسة ايران الخارجية الثورية.

بحلول الثورة، أصبح الخطاب الديني مهيمناً في ألسياسة ألخارجية الايرانيه وكان مصدر التمييز بين القوى الإستكبارية والبلدان المضطهدة، إذ صرح آية الله الخميني: إن إرادة الله سبحانه وتعالى، أمرت بالإفراج عن الأمة المضطهدة من نير الطغيان وجرائم النظام الشيطاني ومن نير هيمنة القوى القمعية، خاصة حكومة أمريكا التي تلتهم العالم، وأن إرادة الله في رفع راية العدالة الإسلامية على بلدنا الحبيب، ومن واجبنا أن نقف أمام القوى العظمى ولدينا القدرة على الوقوف ضدهم، شريطة أن يتخلى مثقفونا عن سحرهم بالتغريب أو التشريق وأن يتبعوا الطريق الصحيح للإسلام والقومية ، وفي الواقع، إن تصدير المبادئ الثورية إلى العالم الإسلامي كان أحد أهداف النظام الجديد، بناءً على فكرة أن الإسلام لا يقر بالاختلاف بين البلدان الاسلامية [2].

ادت التطورات الداخلية وألخارجية، مثل وفاة آية الله الخميني في عام 1989، وكذلك ظهور القيادة المزدوجة لآية الله خامنئي وهاشمي رفسنجاني، نهاية الحرب الباردة وحرب الخليج عام 1991، كل تلك التطورات شكلت فرصًا وتحديات جديدة للسياسة ألخارجية الايرانية، وضمن هذا الإطار، أدركت إيران أنها لن تكون قادرة على العمل بفعالية خارج الهيكل المترابط للنظام الدولي، لذلك، أنهت السياسة الانعزالية وبدأت في تنفيذ سياسة خارجية عملية، لكن ذلك أضاف للنظام الاسلامي مخاوف اقتصادية إلى جانب المخاوف الأيديولوجية، إذ أكد الرئيس السابق هاشمي رفسنجاني مراراً وتكراراً أنه إذا فشل النظام الإسلامي في إيران في استراتيجيته للتنمية الاقتصادية، فإنه سيفقد قريبًا مصداقيته الإيديولوجية أيضًا[3]، ما يعني أن الضرورات الاقتصادية أدت إلى قيام إيران بإتباع سياسة خارجية ذات توجهاً أقل آيديولوجيةً وتشدداً في التسعينيات، وحل محل مبدأ لا الشرق ولا الغرب للسياسة ألخارجية الثورية مبدأ اخر هو كلاً من الشمال والجنوب ، وفي هذا الصدد، كانت محاولات إيران لتحسين العلاقات الثنائية مع دول الخليج جزئياً سببه إدراج الاهتمامات الاقتصادية في مقدمة أولويات ألسياسة ألخارجية، ومن جانب آخر، فإنه إلى جانب المخاوف الاقتصادية، كانت القضايا الأمنية بارزة بشكل غير مفاجئ في ألسياسة ألخارجية الايرانيه خلال التسعينيات، على سبيل المثال، رفضت

إيران فورًا غزو العراق للكويت، كما ذكر رفسنجاني، أن إيران لن تتسامح مع أي تغييرات في الجغرافيا السياسية للمنطقة .

بحلول أواخر التسعينيات، بدأت مرحلة جديدة أخرى في ألسياسة ألخارجية لإيران بفوز محمد خاتمي رئيساً عام 1997، وكان أكثر انفتاحاً من أسلافه في ألسياسة ألخارجية، فهو يدعم فكرة حوار الحضارات ، لذلك، تم إطلاق سياسة الانفراج من أجل إعادة دمج إيران في العالم، واتخاذ سياسة خارجية أكثر نشاطاً، وقد صرح خاتمي لقد اتخذنا بعض الخطوات الإيجابية فيما يتعلق بسياسة الانفصال – وهي خطوات يجب أن تستمر. يجب أن نتقدم من مرحلة الانفراج إلى مرحلة بناء الثقة ومن ثم إلى إقامة تعاون إقليمي دائم [4].

كما ذكر خاتمي، خلال حملته الرئاسية في أوائل عام 1997، اقترحت كواحدة من النقاط الرئيسية في خططي أن نتمكن من تعزيز الحوار – بين الحرب – بين الحضارات. كان هذا مبدأنا الدبلوماسي خلال رئاستي، في عام 1998، وبالفعل قُدِّمت الفكرة إلى الأمم المتحدة وأسفرت عن تسمية عام 2001 بسنة الحوار بين الحضارات، وأشار إلى أنه بالإمكان إقامة ثلاثة أنواع من العلاقات الشفهية مع الآخرين: التفاوض والنقاش والحوار، فبينما يسود التفاوض والنقاش في ظل الاختلافات، فإن الحوار يقوم على القواسم المشتركة، والهدف في النهاية هو الوصول إلى المعرفة والتعايش المتبادل، فيمكن تحقيق السلام (وربما الإنجازات السياسية) من خلال الحوار .

خلال السنوات الثمانية من حكم خاتمي، أصبحت تعددية الأطراف أحد مبادئ ألسياسة ألخارجية لإيران، إذ ركز الرئيس خاتمي على تحسين علاقات إيران مع الدول العربية وآسيا الوسطى والبلدان القوقازية، والدول الغربية، تطبيقاً لمبدأ كلاً من الشمال والجنوب في ألسياسة ألخارجية . ومع ذلك، فإن التغييرات في المستويات المحلية والإقليمية والدولية دفعت ألسياسة ألخارجية الإيرانية إلى إطلاق مرحلة أخرى، يمكن تعريفها بأنها عودة ألسياسة ألخارجية الموجهة نحو الهوية والأيديولوجية.

المبحث الثاني: ألسياسة ألخارجية بين الإيديولوجيا والبراغماتية(بين الحوار وتضارب المصالح)

إن نقطة التحول لإحياء تأثير الأيديولوجية والهوية على ألسياسة ألخارجية لإيران كانت بسبب الهجوم الإرهابي ضد الولايات المتحدة في الحادي عشر من سبتمبر، اذ أصبحت استراتيجيات مكافحة الارهاب الاحادية الجانب المبدأ الواضح لسياسة امريكا ألخارجية فور وقوع الهجمات، واتبعت سياسة معنا أو ضدنا ، وإعلان الرئيس الأمريكي الاسبق جورج دبليو بوش إيران ضمن محور الشر في خطاب حالة الاتحاد الذي القاه عام 2002، الأمر الذي أعاد إحياء الخطاب الثوري في ألسياسة

الخارجية لإيران، وانتقد المرشد الأعلى آية الله خامنئي تصريح الرئيس الأمريكي قائلاً إن رئيس الولايات المتحدة يهدد ويتهم البلدان الأخرى بالتورط في الشر في حين تعارض أمريكا الحركات الشعبية، وتدعم الأنظمة غير الديمقراطية، وتبيع الأسلحة الفتاكة، وتنهب ثروات الدول الأخرى أكثر من أي بلد آخر، هذه أفعال شريرة ولذا فإن أمريكا هي البلد الأكثر شراً. وإن الجمهورية الإسلامية فخورة بأن تكون هدفا للكراهية والغضب من أعظم شر في العالم، ونحن لا نسعى أبداً إلى الثناء من قبل المسؤولين الأميركيين [5].

وفي الوقت الذي اخذت فيه صورة ايران بالتدهور بسبب العلاقات المتوترة مع الدول الغربية، بدأت من جهة أخرى بذل الجهود لتحسين علاقاتها الثنائية مع الدول المجاورة لها من أجل تقليل الآثار الجانبية للانعزال، وبعبارة أخرى، فإن في ظل الواقع الإقليمي لما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ، شرعت الحكومة الإيرانية بعدد من التعديلات في ألسياسة ألخارجية، الهدف منها تعزيز الأمن القومي وتحسين مكاسبها من خلال التضامن والتحالفات، وهدفت هذه السياسات إلى تحقيق الاستقرار في العلاقات مع تركيا وباكستان والعراق؛ وتعزيز التعاون الإقليمي؛ ووضع ترتيبات أمنية جديدة؛ وفي الوقت نفسه، رفعت من مستوى الاستعداد العسكري.

وبالرغم من ذلك، فان المحاولات الإيرانية لإرساء الاستقرار في علاقاتها الثنائية مع الدول المجاورة لم تدم طويلاً بسبب تزايد المخاوف المتبادلة بشأن السياسات ألخارجية لدول المنطقة، فمن جانب إيران شكل انهيار النظام السياسي في العراق عام 2003 حدثاً بالغ الاهمية شجع إيران على ملاحقة هدف توسيع قوتها الاقليمية، والذي اطلق عليه مسمى إحياء الشيعة ترسيخ المصالح الشيعية في الهويات الوطنية ، وأصبح مصطلح الهلال الشيعي شائعاً أيضاً كمصطلح جيوسياسي يستخدم لوصف منطقة متاخمة داخل الشرق الأوسط ذات أغلبية أو أقلية شيعية قوية، وبما ان إيران هي الدولة الشيعية الوحيدة في المنطقة، باتت الدول الاقليمية ترى مشروع إحياء الشيعة على أنه نتاجاً للنفوذ الايراني، لذلك أصبح هذا مصدر قلق للدول العربية وتركيا وإسرائيل والولايات المتحدة، التي تعتبر تنامي القوة الإيرانية تهديدًا للأمن والاستقرار الإقليميين[6].

وعند انتخاب محمود أحمدي نجاد رئيساً لإيران عام 2005 وإعادة انتخابه عام 2009، مرت ألسياسة ألخارجية لإيران في حالة أخرى من التغيير، والتي كان ينظر اليها في تلك المرحلة على أنها سياسة عدوانية وهجومية وتوسعية وأيديولوجية، وان تصور المجتمع الدولي هذا، كان في الحقيقة متأثراً بشكل كبير بأحداث الحادي عشر من سبتمبر، واعتبارها مصدر تهديد للمجتمع الدولي بسبب اكتشاف بعض الأنشطة النووية السرية التي تقوم بها، وما أكد هذا التصور تصريح أحمدي نجاد –

الذي تم ترجمته خطأ إلى اللغة الإنكليزية– يجب محو إسرائيل من الخريطة ، ولا بد ان نذكر هنا ان هذا التصريح كان سبباً في اثارة التصور الدولي المقلق اكثر من تصريح المرشد الاعلى عام 2001 الذي قال فيه بأن محو إسرائيل من خريطة المنطقة كانت مهمة أو هدف جمهورية إيران الإسلامية، لذلك، فُرضت عقوبات اقتصادية شديدة على إيران وتأثرت سياستها ألخارجية بشدة ما جعلها أكثر توجهاً نحو الايديولوجية والتشدد(7).

وفي محاولتها للحد من التأثير السلبي الذي تعرضت له بسبب عزلتها، انصب تركيز السياسة الخارجية الايرانية بشكل اساس مرة أخرى على توسيع علاقاتها الإقليمية، وكان هدفها الأول من ذلك هو ردع الهجمات العسكرية الأمريكية أو الإسرائيلية المحتملة على برنامجها النووي، لذلك، أكد أحمدي نجاد على تشكيل تحالفات إقليمية مع دول صديقة، مثل سوريا وتركيا، والحركات السياسية، مثل حزب الله أو الأحزاب والحركات الشيعية العراقية، ويؤكد ذلك وصف وزير ألخارجية علي أكبر صالحي أولويات السياسة الايرانية ألخارجية توسيع العلاقات الدولية لجمهورية إيران الإسلاميه خاصة مع دول العالم الإسلامي (8)، ومع ذلك، فإن عودة خطاب ألسياسة ألخارجية الموجه نحو الهوية والأيديولوجية خلقت تحديات جديدة، والتي وضعت عقبات جديدة لتحسين العلاقات الثنائية لإيران مع دول المنطقة في الشرق الأوسط.

إن التغييرات في ميزان القوى الإقليمي التي حدثت نتيجة للانتفاضات الشعبية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا منذ عام 2010، عززت من ألسياسة ألخارجية لإيران الموجهة نحو الهوية والأيديولوجية، إذ أن المنظور الإيراني لتلك الانتفاضات عزز رؤيتها الأيديولوجية والفكرية، فترى إيران أن هذه الانتفاضات امتداداً للثورة الإسلامية، وأن التطورات الأخيرة في الشوارع العربية نتيجة صحوة إسلامية عربية تقودها قيم الثورة الإسلاميه الإيرانية (9)، وبالنسبة لإيران فإنها ترى ان الثورة الإسلاميه عام 1979 تم تصديرها بنجاح، وزعمت إيران أن الاحتجاجات متجذرة في ثورة 1979 كما لو كانت تتحمل مسؤولية ظهورها وتطورها، مؤيدة ومنادية بان هذه الصحوة الإسلامية تم إنشاؤها بواسطة انتصار الثورة الكبرى للأمة الإيرانية ، ووفقًا للمرشد الأعلى آية الله خامنئي لقد أصبح الإسلام هو المبدأ التوجيهي للحركات الشعبية ، وفي وصف آخر يقول خلال العقود الماضية، حولت القوى المتغطرسة –بقيادة الولايات المتحدة– دول المنطقة إلى دول خاضعة لها من خلال خداعها السياسي والأمني، لكنها الآن الهدف الرئيسي للاشمئزاز والكراهية لدول المنطقة(10).

بالإضافة إلى تأطير الانتفاضات الشعبية بالمصطلحات الإسلامية، حاولت إيران ان تعرّفها بأنها حركة ضد الولايات المتحدة وإسرائيل، وصرح المرشد الأعلى بأن جوهر الصحوة الإسلامية في بلدان

المنطقة هو حركة معادية للصهيونية ومعادية للولايات المتحدة ، وأضاف ان الصحوة الإسلامية للدول الإقليمية هي حركة على درب الأنبياء، ومن خلال اليقظة، لن تسمح الدول الإسلامية والأمة الإيرانية العظيمة للأميركيين والصهاينة بتعطيل أو اختطاف هذه الحركة الرائعة عن طريق زرع الفتنة وغيرها من المؤامرات [11].

وبالرغم من أن تتبع هذه التصريحات يشير إلى عودة المخاوف المتعلقة بالهوية والأيديولوجية في سياسة ايران ألخارجية، إلا أنه عندما انتخب الرئيس روحاني لأول مرة في عام 2013 ، ثم أعيد انتخابه عام 2017 ، بدأ مرحلة جديدة (مرحلة البراغماتية)، الامر الذي من شأنه تنشيط الخطاب حول الحوار في سياسة ايران ألخارجية، على سبيل المثال، دعا وزير خارجية إيران، محمد جواد ظريف إلى خطاب الاعتدال الحكيم ، إذ تهدف هذه الرؤية إلى إبعاد إيران عن المواجهة نحو الحوار والتفاعل البناء والتفاهم، وكل ذلك بهدف حماية الأمن القومي ورفع مكانة إيران من جهة، وتحقيق التنمية الشاملة على الامد البعيد من جهة اخرى. إن التزام روحاني بالمشاركة البناءة يتطلب الحوار والتفاعل مع الدول الأخرى على قدم المساواة ، مع الاحترام المتبادل في خدمة المصالح المشتركة، وهذا يتطلب من جميع الاطراف المشاركة وبذل جهوداً جادة للحد من التوترات والسعي نحو بناء الثقة، وتحقيق الانفراج.

وضمن هذا السياق سعت حكومة روحاني إلى اتمام الاتفاق النووي الشامل مع الولايات المتحدة، ولكنه من غير المؤكد ما إذا كان ذلك يعني حلول خطاب الحوار محل الخطاب العدواني في ألسياسة ألخارجية حقيقةً، فيرى البعض أن سياسة إيران في ظل رئاسة روحاني، كانت أكثر عدوانية وأكثر تشاؤماً في السعي لتحقيق مصالحها في الشرق الأوسط مما كانت عليه في عهد أحمدي نجاد – وفي بعض الأحيان تزعزع او تدوس على استقرار جيرانها للحصول على مكاسب إستراتيجية وسياسية أكبر[12]، وفي الواقع ، يمكن القول أن ألسياسة ألخارجية الموجهة نحو الهوية والأيديولوجية لا تزال مستمرة في سياسة ايران ألخارجية، على عكس ما تعنيه بالتشديد على أهمية الحوار.

المبحث الثالث: سياسة ايران الخارجية تجاه سوريا في ظل التشدد الآيديولوجي

والمصلحة الاستراتيجية

اولاً: القوى المحركة الرئيسة لسياسة إيران تجاه سوريا

بعد التطرق الى الديناميات الأساسية التي أثرت في ألسياسة ألخارجية لإيران، يمكن الآن تحليل الصفات الرئيسة التي تحدد سياسة إيران حيال سوريا، إذ شكلت هذه السياسة انعكاساً للعلاقات البارزة بين البلدين، وفي هذا السياق، ونقطة البداية لتحليل هذه السياسة هي الافتراض بأن الجودة الحاسمة للعلاقات بين البلدين كانت محددة بأربعة ديناميات رائدة هي : الأمن القومي، الهلال الشيعي والجغرافيا السياسية، توازن القوى، والسلطة الإقليمية/ الهيمنة. وتشكل هذه الديناميات العوامل الجيوسياسية والعوامل الجغرافية والثقافية التي تحدد العلاقات بين البلدين.

1. بادئ ذي بدء، نحتاج إلى التأكيد على أن إيران لا تعتبر سوريا جزء من ألسياسة ألخارجية أو أنها مسألة خارجية، ولكنها تنظر اليها على انها **شان داخلي** في إطار متطلبات الأمن القومي، والواقع ان تعريف نائب قائد الحرس الثوري الإيراني حسين طالب لسوريا على أنها المدينة أو المقاطعة أو المحافظة الخامسة والثلاثون هو دليل واضح على أنه يُنظر إلى سوريا باعتبارها شأن داخلي لإيران، وبناءً على هذا التصريح الذي تضمن أيضاً يمكننا الدفاع عن إيران إذا أبقينا على سوريا أو إذا حافظنا على سوريا [13]، ويُفهم من ذلك أن إيران تعتبر سوريا خط مقاومة على أساس حماية أمنها القومي. لذلك، فإن لسوريا أهمية حيوية بالنسبة لإيران وهي مسألة وجود.

2. فيما يتعلق بالهلال الشيعي والجغرافيا السياسية، تكمل سوريا المثلث الشيعي مع كل من لبنان من حزب الله والحكومة العراقية الشيعية، ومن ثم فإن الإطاحة بنظام الأسد في سوريا سيكون بمثابة فشل لجغرافية السياسة الشيعية بعيداً عن كونه خسارة جيوسياسية لإيران، بالإضافة إلى ذلك، فإن الأساس الأيديولوجي الذي تقوم عليه العلاقات الإيرانية السورية يعتمد على النصيرية ذات التوجه الشيعي(Shia–oriented Nusayrism). وبهذا المعنى، فإن الشيعة يشكلون تمثل الاساس الرئيسي للعلاقات الإيرانية السورية وأرضية طائفية مشتركة.

3. في إطار توازن القوى، فإن موقف سوريا يدعم قوة إيران في ميزان القوى مقابل الكتلة السنية السعودية، وفي الواقع، فان ميزان القوى هو المحرك الأساسي للتنافس بين إيران والسعودية، إذ تتبع إيران سياسة إقامة علاقات مع الشعب الشيعي في ظل الإدارات السنية، ومن ثم التأثير على سياسات الدول السنية الحاكمة للشيعة في دولها، ومن ناحية أخرى، تتبع إيران سياسة الحفاظ على توازن القوى ضد الكتلة السنية من خلال دعم إدارة الأسد، وهي أقلية شيعية تحكم في سوريا[14].

4. تحتفظ سوريا بأهمية لاغنى عنها لإيران لتكون قوة إقليمية ومهيمنة، وعندما تصبح إيران قوة إقليمية فهي بذلك تضمن فرض سيطرتها على الجغرافيا السياسية للهلال الشيعي مع سوريا، ويعد إدامة الدعم الإيراني لسوريا فضلاً عن العراق وحزب الله في لبنان، يجعل إيران قوة إقليمية وواحدة من أكبر وأقوى دول الشرق الأوسط[15]، لذلك، يمكن القول أنه يمكن لإيران ومن خلال سوريا إقامة هيمنة إقليمية، وبالمقابل، فإن خسارة إيران لسوريا تعني فشل مشروع الهلال الشيعي، علاوة على ذلك، فإن هذا التطور من شأنه أن يضعف الأمن القومي لإيران ويعرقل من أن تصبح قوة إقليمية. وفي نهاية المطاف، فان جودة العلاقات الأساسية بين إيران وسوريا هي علاقات تحالفية تعمل ضمن إطار هذه الديناميات الأساسية.

ثانياً:التحالف التاريخي

إن الأساس التاريخي لعلاقات التحالف الإيراني – السوري هي في الواقع بنيت على أساس المرحلة السابقة للثورة الإسلامية، فالتحالف الاستراتيجي الأول بين حافظ الأسد والخميني كان قبل 1979، إذ عمل حافظ الأسد على دعم الخميني عندما كان في المنفى، وفي ضوء هذا السياق التاريخي بدأ التقارب بين البلدين بعد قيام الثورة، وبالمثل، عندما تم الإطاحة بنظام الشاه، كانت سوريا واحدة من أوائل البلدان التي اعترفت بإيران. كما دعمت سوريا إيران في الحرب الإيرانية العراقية بين عام 1980 و1988[16] . لذلك، وصلت العلاقات بين البلدين إلى بعداً استراتيجياً خلال تلك الحرب، وفي ظل هذا السياق، يمكننا أن نسمي العلاقات بين البلدين بانها تحالف.

وما دعّم هذه العلاقات الاستراتيجية بين البلدين أنها كانت ضمن او بموجب المتطلبات التي تفرضها الجغرافيا السياسية في الشرق الأوسط، فأولاً وقبل كل شيء، كان احتياج الدولتين لبعضهما البعض ينبع من الناحية الإستراتيجية للحفاظ على وجودهم ضد الدول السنية، ولضمان توازن القوى، كما تشكل سوريا نقطة أساسية استراتيجية لسياسة إيران في الشرق الأوسط، فلإيران تأثير على لبنان من خلال سوريا، علاوة على ذلك، استطاعت إيران من خلال سوريا بناء حزب الله في لبنان. ومن ناحية أخرى، فإن إيران تتدخل في القضية الفلسطينية وتؤسس لإقامة علاقة مع حماس من خلال سوريا. لذلك، ما يعني أن إيران تستخدم إمكانات الجغرافيا السياسية السورية لإنشاء منطقة نفوذ في لبنان وتحقيق مكانة لاعب إستراتيجي في القضية الفلسطينية– الإسرائيلية، كما تخلق إيران من خلال سوريا خط مقاومة ضد الولايات المتحدة وإسرائيل، وبهذا المعنى، فإن سوريا تقع في منتصف معادلة السياسة الشرق أوسطية لإيران، فتحرض إيران دوماً على تزويد نظام الأسد بالدعم الاستراتيجي في الحرب الأهلية في سوريا حتى يتمكن من البقاء والاستمرار.

ثالثاً: سوريا على انه استغلال غربي وتحريض يعتزم تقسيم الإسلام[17]. لقد غيرت إيران سياستها عندما بدأت العملية تشكل تهديداً لمصالحها وحليفها الاستراتيجي، في موقف مناقض لدعمها انهيار الإدارة السنية بالربيع العربي، واتبعت سياسة لاستغلال الموقف الإقليمي بعد الإطاحة بهذه الإدارات. وبعد ذلك، عرفت إيران الأزمة السورية بأنها شاناً داخلياً، الأمر الذي يكشف طبيعة الدعم الاستراتيجي المقدم من قبل إيران لسوريا، الأمر الذي يستتبع حقيقة أن إيران أصبحت الطرف الأكثر نشاطاً في الحرب الأهلية السورية.

إن معظم الدعم الاستراتيجي كان ضمن الجانب الاقتصادي والعسكري لتمكين النظام السوري من البقاء على قيد الحياة، فضلاً عن الدعم السياسي والدبلوماسي، وفيما يتعلق بالدعم الاقتصادي و العسكري، اتبعت إيران سياسة زيادة حجم تجارتها ألخارجية مع سوريا، إذ زادت حجم التجارة ألخارجية مع سوريا إلى 800 مليون يورو ابتداءً من عام 2010، وفي عام 2010 تم توقيع مذكرة تفاهم لتجارة الغاز الطبيعي بقيمة 10 مليارات دولار، كما تم توقيع اتفاقية التجارة الحرة بين البلدين في نفس العام، وفي عام 2012، وقعت شركة MEPNA الإيرانية عقداً بقيمة 400 مليون يورو لبناء محطة جديدة للطاقة في سوريا بعد أن قطعت تركيا الطاقة عام 2012[18]. وفي السياق نفسه، تم توقيع اتفاقية منفصلة بين إيران والعراق وسوريا ولبنان بشأن نقل الطاقة الكهربائية. لقد كان لهذا الدعم الاقتصادي والتجاري من قبل إيران لنظام الأسد أهمية حيوية بالنسبة لسوريا.

والأمر الأكثر أهمية هو الدعم العسكري والأمني الذي قدمته إيران لسوريا، فببساطة، زودت إيران نظام الأسد بالأسلحة والذخيرة والمعدات التقنية والدعم الاستخباري والمستشارين العسكريين[19]، كما نقلت ميليشيات شيعية إلى سوريا من العراق وأفغانستان وباكستان من جهة، وحثت حزب الله في لبنان للقتال من جهة أخرى. ووفقاً للنتائج الأخيرة، يُزعم أن إيران أحضرت نحو 18 ألف شخص من الميليشيات الشيعية إلى سوريا من مختلف البلدان المذكور أعلاه[20].

علاوة على ذلك، يواصل جيش الحرس الثوري الإيراني قتاله الى جانب الجيش السوري في الحرب، وأصبح لواء القدس الخاص تحت قيادة الحرس الثوري أهم عناصر الحرب الأهلية السورية، ومن ناحية أخرى –كما تزعم الموارد الغربية– تزود إيران سوريا بأسلحة ثقيلة وذخيرة عسكرية، وما يؤكد ذلك أنه في مارس 2011، أجبرت تركيا طائرتين كانتا متجهتين من طهران إلى حلب على الهبوط، وبعد تفتيش هاتين الطائرتين، تم العثور على كمية من الاسلحة في احداهما، بالإضافة إلى ذلك، تم إيقاف شاحنة يزعم انها كانت تنقل سلاح من إيران إلى سوريا لتسليمها إلى حزب الله في كيليس في أبريل 2011، كل هذا يشير إلى أن إيران زودت سوريا بالدعم العسكري والأمني المكثف.

رابعاً: التنافس الإيراني السعودي: حرب الوكالة

مع بداية الحرب الأهلية في سوريا في عام 2011، تحولت المنافسة بين إيران والسعودية إلى حرب بالوكالة، كما ذكر أنوشيرافان أتشامي، فإن التنافس بين البلدين سببه سياسة إيران في تصدير النظام الشيعي إلى الشرق الأوسط منذ ثورة 1979، وحولت قضية سوريا التنافس بين البلدين من الحرب الناعمة إلى حرب قاسية في طريق حرب بالوكالة. ومن ناحية أخرى ، يعتبر كلا البلدين سوريا بمثابة تسوية جيوسياسية، لذلك، فإن خسارة سوريا ستكون خسارة جيوسياسية ضخمة للبلد الخاسر في إطار لعبة محصلتها صفر[21]. في هذا السياق، برز موقف إيران في الحرب الأهلية السورية ليكون منطقة جديدة من التنافس مع المملكة العربية السعودية، وكل من البلدين يخوض معركة النفوذ في سوريا. ففي البداية، دعمت المملكة العربية السعودية الجيش السوري الحر وجماعات مختلفة تقاتل ضد نظام الأسد، بينما قاتلت إيران بشكل مباشر من قبل الأسد ودعمت الجماعات الشيعية، والسبب وراء مشاركة إيران بشكل كبير نسبياً في الحرب الأهلية في سوريا هو حقيقة أن إيران تعتبر سوريا مسألة بقاء كما ذكر آنفاً.

وبينما استمر التنافس بين البلدين في سوريا على المستوى الجيوسياسي، كان الخطاب الطائفي السني– الشيعي هو وسيلة التنافس، إذ يلعب كلا البلدين دوراً قيادياً في الشرق الأوسط والعالم الإسلامي طائفياً. وسمح هذا التنافس بانتهاج سياسة توسعية من البلدين من خلال إقامة علاقة رعاية مع الجماعات السنية والشيعية بعد اندلاع الحرب الأهلية في سوريا. فحقيقة أن سوريا تحكمها أقلية نصيرية شيعية تشكل 13٪ والأغلبية السنية تشكل 74٪ صعّد التنافس الإيراني السعودي[22]، لاسيّما من الجانب السعودي وتطلعاته، إذ تجد ان إضافة سوريا إلى الهلال الشيعي بعد العراق يمثل تهديداً لوجودها، وبالمثل، تعمل إيران على الافتراض بأنها ستكون الدولة التالية إذا ما خسرت سوريا، ويمكن القول أنه بعد ما مضى من الحرب الأهلية في سوريا، يلاحظ أن الدولة السورية قد ضاعت في الواقع وأن الأسد هو فقط من تبقى لإيران.

وتأسيساً على ذلك، فإن إيران في الواقع خسرت بالفعل في سوريا، وفي الوقت نفسه لم تربح السعودية، لذا تبذل إيران جهد مكثف على الأقل للحفاظ على رأس السلطة (عائلة الأسد)؛ ذلك لان خسارة الأسد تعني لإيران فشل الهلال الشيعي وما يترتب عليه من قطع العلاقات مع كل من حزب الله اللبناني وحماس الفلسطينية، وهكذا، ستفقد إيران ثقلها في منطقة الخليج. لذلك، فإن مستقبل نظام الأسد هو عامل يحدد النفوذ الإيراني في المنطقة، ونتيجة سياستها ألخارجية القائمة على الشيعة،

وهذا يعني أن سوريا تشكل مركز التنافس السياسي والجيوسياسي بين البلدين، والى جانب سوريا، لا تزال الحرب بالوكالة بين البلدين مستمرة في اليمن والعراق ولبنان وإسرائيل وغزة.

وبشكل إجمالي فإن المشاكل السياسية والعسكرية الخطيرة التي شهدتها سوريا في صيف عام 2012 غيرت توازن القوى لصالح النظام بمساندة كبيرة من إيران، إذ قال علي رضا زكاي عضو البرلمان في سبتمبر/ايلول 2014، إذا تأخرنا في اتخاذ قرارات حاسمة ضد الأزمة السورية ولم يكن لدينا تدخل عسكري، فسوف ينهار النظام السوري مما يدل على مدى تدخل إيران في القضية السورية من اجل استمرار نظام الأسد من خلال إدراكها أن الأزمة السورية قضية مصيرية.

ويبرز سعيد كاليلي، رئيس مجلس الأمن القومي الإيراني المنظور الجيوسياسي الإيراني لسوريا بقوله إن ما يجري في سوريا ليست شأن داخلياً بل صراع مع محور المقاومة في المنطقة والعالم وأعدائه، ولن تتسامح إيران بأي شكل من الاشكال مع محاولات كسر محور المقاومة والذي تعتبر سوريا جزءًا أساسيًا منه .

ولتبرير التناقض بين نهج إيران تجاه الانتفاضة الشعبية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في عام 2010 وبين نهجها ازاء سوريا، ووصفها للأولى بأنها صحوة إسلامية وناتجة عن نجاح تصدير الثورة الإسلامية ضد القوى الإمبريالية، وللثانية بأنها خطة امبريالية، تقدم إيران وصف الربيع العربي بأنه نتيجة طبيعية للديناميات المحلية وردود أفعال شعوب المنطقة بينما أعمال الشغب التي اندلعت في سوريا فهي حركات تحريضية يدعمها الغرب ويريد تدمير نظام الأسد، وهذا التصور هو نتيجة لحقيقة أن إيران ترى ان سوريا بأنها منطقة تقاتل فيها ضد أعدائها. في التحليل النهائي، يمكن القول إن جهود إيران لحماية أمنها القومي تتأثر بتصورها لصعود الجماعات السنية المتطرفة والمنظمات الإرهابية كتهديد لمنطقة نفوذها الإقليمي في إطار قضية الهوية وتصورها لسوريا منطقة صراع بينها وبين حلفائها والأعداء، وفي هذا السياق، يمكن ان نفهم بأن إيران حافظت في بعض الأحيان على مناطق عدم اليقين في سياستها في سوريا ورتبت في الغالب علاقاتها مع مختلف اللاعبين او الجهات الفاعلة تبعاً للتطورات الإقليمية .

الخاتمة

إن ألسياسة ألخارجية لإيران مهمة للغاية ليس فقط لاعتبارات إقليمية، ولكن أيضًا للأمن والاستقرار الدوليين بسبب أصولها الجغرافية السياسية والجغرافية الثقافية. إن سياستها ألخارجية تجاه سوريا ، التي أصبحت الآن موطناً للتحديات للأمن الإقليمي والدولي ، من شأنها أن تغير ميزان القوى الإقليمي. فيما يتعلق بنفوذ إيران وقوتها وقدراتها في جميع أنحاء الشرق الأوسط ، وتعد العوامل الاجتماعية وغير المادية حاسمة كالقدرة المادية في ألسياسة ألخارجية لايران . كما يتضح من سياستها ألخارجية تجاه سوريا ، فإن مخاوف إيران لا تقتصر على الأمن. علاوة على ذلك ، تم إحياء المخاوف بشأن الهوية والأيديولوجية. لذلك ، فإن تصور إيران للأزمة السورية يعكس استمرارية إيران لسياستها ألخارجية، والتي يمكن تعميمها في إطار المواضيع التالية: معاداة الإمبريالية ، والشك في سياسات الجهات الفاعلة غير الإقليمية وتأثير المبادئ الثورية خارج الحدود الإيرانية. في الواقع، لقد عاد الخطاب الموجه نحو الإيديولوجيا والهوية الى الظهور في ألسياسة ألخارجية لإيران.

إلى جانب استمرارية سياسة إيران ألخارجية، هناك بعض التغييرات. مع الأخذ في الاعتبار السلطة العليا للمرشد الأعلى في صنع القرار في ألسياسة ألخارجية والصراع بين الفئات السياسية المختلفة، فإن دور الرؤساء في خلق بعض التغييرات هو امر لا جدال فيه. في هذا الصدد، كانت الدعوة إلى الحوار بين الحضارات ، التي تؤكد على ضرورة إقامة علاقات عادلة وقائمة على الاحترام المتبادل مع العالم الغربي ومحاولات إعادة بناء العلاقات الثنائية مع جميع البلدان، كانت جزءاً من الخطابات المختلفة في ألسياسة ألخارجية الايرانيه منذ أواخر التسعينات، بناءً على مواقف الرؤساء المختلفة. في الحقيقة، تعكس سياسة إيران ألخارجية تجاه سوريا أيضًا التغيرات في خطاب ألسياسة ألخارجية ، والتي أكدت مؤخرًا على تضارب المصالح الإيرانية مع الدول الأخرى المنخرطة بشكل فاعل في الأزمة السورية

المصادر:

[1] Houman A. Sadri, Trends in the Foreign Policy of Revolutionary Iran, Journal of Third World Studies, Vol: XV, No: 1, 1998, p. 14.

[2] – نجاة ابركان، العلاقات الايرانية– الغربية ي ضوء التطورات الاقليمية والدولية، اطروحة دكتوراه، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر –باتنه1، 2017،ص52.

[3] – سعيد امير ارجوماند، الوضع الأيديولوجي (الأوضاع الأيديولوجية) في إيران، المرصد السياسي 2576، معهد واشنطن، على الرابط
https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/the-states-of-ideology-in-iran

[4] Shah Alam, The Changing Paradigm of Iranian Foreign Policy Under Khatami, Strategic-Analysis, Vol: 24, No: 9, 2000, p. 1631.

[5] -
https://www.researchgate.net/profile/Alaa_Matar/publication/336983085_alsyast_alayranyt_tjah_msr_mn_snt_1989-2005/links/5dbd35ce4585151435de132d/alsyast-alayranyt-tjah-msr-mn-snt-1989-2005.

[6] – فراس الياس، الجيوبوليتيك الشيعي والمخيلة الجيوستراتيجية الإيرانية: مجالات التأثير وبناء النفوذ، تقارير، مركز الجزيرة للدراسات، 2019 ، ص6.

[7] – فاطمة الصمادي، الانتخابات الرئاسية: إيران تحاول الخروج من خريفها السياسي، تقارير، مركز الجزيرة للدراسات،2013.

[8] – افشان استوار، المعضلات الطائفية في السياسة الخارجية الإيرانية: حين تتصادم سياسات الهوية مع الاستراتيجية، مركز مالكوم كير– كارنيغي للشرق الاوسط، 2016، على الرابط https://carnegie-mec.org/2016/11/30/ar-pub-66377

[9] – فاطمة الصمادي، إيران والثورات العربية: سرديات بناء المركزية الإيرانية، تقارير، مركز الجزيرة للدراسات،2016.

[10] - Leader calls for 'Islamic power bloc' , Press TV, November 5, 2011, http://www.presstv.ir/detail/208487.html, (Accessed on 20.08.2012).

[11] – سعود الزاهد، خامنئي يرى الاحتجاجات في البحرين حقيقية وفي سوريا انحرافاً، مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية–لندن، الخميس 28 رجب 1432هـ – 30 يونيو 2011م على الرابط https://www.asharqalarabi.org.uk/

[12] – مروان بشارة، كيف ستشكل انتخابات 19 مايو السياسة الخارجية الإيرانية، الجزيرة، مايو 2017، على الرابط http://www.aljazeera.com/news/2017/05/19-election-shape-iran

[13] – فاطمة الصمادي، إيران والثورات العربية: سرديات بناء المركزية الإيرانية، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 11 نوفمبر 2016، على الرابط
https://rawabetcenter.com/archives/34933

[14] – خالد جويعد ارتيمة العبادي, تأثير النفوذ الإيراني على الدول العربيةسوريا ولبنان ,جامعة مؤتةعمادة الدراسات العلياارسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا2007 – 1979 استكمالا لمتطلبات الحصول على درجةالماجستيرفي العلاقات الدولية قسم العلوم السياسية,جامعة مؤتة, 2008,ص20–30.

[15] – احمد ثابت واخرون، أثر المذهبية في السياسة الخارجية الإيرانية تجاة الشرق الأوسط:دراسة حالة العراق–سوريا–لبنان، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية ، الاقتصادية والسياسية على الرابط https://democraticac.de/?p=47176#_ftnref170

[16] _

[17] –معن طلاع، الدور الإيراني في الأزمة السورية: التموضع والتحالفات والمستقبل، مركز الجزيرة للدراسات، 6 مارس 2019، ص1.

[18] – تامر بدوي، العلاقات الاقتصادية بين إيران والنظام السوري: مؤشرات الاختلال، مركز الجزيرة للدراسات، 2 يوليو 2015، ص 9.

[19] – رشيد حوراني، انحدار السياسة الإيرانية في سوريا الأسباب والتداعيات ، المؤسسة السورية للدراسات وابحاث الرأي العام، 2018، ص 4.

[20] – فيليب سميث، مشروع إعداد خارطة بمواقع انتشار الميليشيات الشيعية، معهد واشنطن، مايو 2019، على الرابط https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/the-shia-militia-mapping-project

[21] – فريدريك ويري، كريم سجادبور، توازن بعيد المنال: أميركا وإيران والمملكة العربية السعودية في الشرق الأوسط المتغيّر، مركز مالكوم– كير كارنيغي الشرق الاوسط، 28 مايو 2014.

[22] – لمزيد من التفاصيل حول ظاهرة التشيع بين المذاهب الإسلامية في سورية انظر: المعهد الدولي للدراسات السورية، البعث الشيعي في سورية 1919–2009،2007، ص 107.